مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(١ كورنثوس ٦: ١٢–٢٠)

يا إخوةُ كلُّ شيءٍ مباحٌ لي ولكن ليس كلُّ شيءٍ يوافِق* كلُّ شيءٍ مُباحٌ لي ولكن لا يتسلَّطُ عليَّ شيءٌ* إنَّ الأطعمةَ للجوفِ والجوفَ للأطعمةِ وسيُبيدُ اللهُ هذا وتلك. أمَّا الجسدُ فليس للزنى بل للربِّ والربُّ للجسد* واللهُ قد أقامَ الربَّ وسيُقيمنا نحن أيضاً بقوَّته* أمَا تعلمون أنَّ أجسادَكم هي أعضاءُ المسيح. أفآخذُ أعضاءَ المسيحِ وأجعلُها أعضاءَ زانية. حاشا* أمَا تعلمونَ أنَّ من اقترن بزانيةٍ يصيرُ معها جسداً واحداً. لأنَّه قد قيلَ يصيرانِ كِلاهما جسداً واحداً* أمَّا الذي يقترنُ بالربِّ فيكونُ معه روحاً واحداً* أُهربوا من الزنى. فإنَّ كلَّ خطيئةٍ يفعلُها الإنسانُ هي في خارجِ الجسد. أمَّا الزاني فإنَّه يُخطئُ إلى جسده* أم ألستُم تعلمونَ أنَّ أجسادكم هي هيكلُ الروحِ القدسِ الذي فيكم الذي نِلتموه من الله

أحد الإبن الشاطر

«يا ابني أنت معي في كل حين وكلُّ ما هو لي فهو لك» (لو ١٥: ٣١).

في الأحد الثاني من فترة التهيئة قبل الصوم الكبير المقدس، أحد الإبن الشاطر، تعلّمنا الكنيسة الخطوات العمليّة للتوبة، أي ماذا يجب أن يفعل الإنسان لكي تكون توبته حقيقية ومثمرة. وكانت الكنيسة علّمتنا الأحد الفائت، من خلال مَثَل الفريسي والعشّار، أن إقرار الإنسان بأنه خاطئ أمر أساسي كي يتبرَّر أمام الله ويعود إلى الملكوت. واليوم مَثَل الإبن الشاطر يأخذنا خطوة أخرى إلى الأمام فيعلّمنا انه على الإنسان أن يترجم الإقرار الداخلي، بينه وبين نفسه وبين الله، بقرار واضح بالعودة عن الخطيئة وتغيير منهج الحياة واتخاذ الخطوات العمليّة والعلنيّة لترجمة هذا الإقرار بالخطأ والقرار بالعودة إلى الأحضان الأبوية. نقول هذا لأننا كثيراً ما نقول بشفاهنا اننا خطأة ولكننا لا نعمل شيئاً لنغيّر حياتنا ولكي نُصحِّح الوضع.

هناك أربع خطوات على الإنسان أن يقوم بها لكي تكون توبته نافعة ويُفتح له باب الملكوت من جديد.

أولاً: على الإنسان أن يعي انه إنسان خاطئ. هذه خطوة مهمة، لأن مَنْ لا يعي انه خاطئ كيف سيحسّن نفسه؟ يقول النص الإنجيلي ان الإبن الشاطر، الأصغر، «رجع إلى نفسه». قام بمجردة حساب لما آلت إليه أحوال حياته وأيقن انه في وضعٍ مزرٍ، حتى ان الخنازير كانت في وضع أفضل منه. وعى انه ابتعد عن بيت ملوكي تتوفر فيه كل أسباب الحياة. وعى انه اتخذ قراراً خاطئاً بالإبتعاد عن نبع الخير وانه طعن محبة والده.

ثانياً، بعد وعي الخطيئة يحين وقت القرار، وهذه مرحلة مهمة لأن كل شيء يعتمد على هذا القرار. هل سيعود إلى المنزل الأبوي أم سينغمس أكثر في الخطيئة؟ كثيرون هم الذين يعون انهم خطأة ويريدون التغيير ولديهم الرغبة الصادقة بالتغيير، لكنهم لا يعرفون إلى أين يتجهون، فيبدأون بتجربة مسالك أخرى في الحياة ظناً منهم ان هذه ستخرجهم

العدد ٢٠١٢/٧

الأحد ١٢ شباط

أحد الإبن الشاطر

تذكار أبينا الجليل في القديسين ملاتيوس رئيس أساقفة إنطاكية العظمى

اللحن الثاني

إنجيل السَحَر الثاني

وأنَّكم لستم لأنفسكم* لأنَّكم قد اشتُريتم بثمن فمجّدوا اللهَ في أجسادِكم وفي أرواحِكم التي هي لله.

الإنجيل

(لوقا ١٥: ١١-٣٢)

قال الربُّ هذا المَثَل: إنسانٌ كان له إبنان* فقال أصغرُهما لأبيهِ يا أبتِ أعطِني النصيبَ الذي يخُصُّني من المال. فقسَم بينهما معيشَتَه* وبعد أيام غيرِ كثيرةٍ جمعَ الإبنُ الأصغرُ كلَّ شيءٍ له وسافرَ إلى بلدٍ بعيدٍ وبذَّرَ ماله هناك عائشاً في الخلاعة* فلمّا أنفق كلَّ شيءٍ له حدثَت في ذلك البلدِ مجاعةٌ شديدةٌ فأخذ في العَوَز* فذهب وانضوى إلى واحدٍ من أهلِ ذلك البلدِ فأرسلَهُ إلى حقوله يرعى خنازير* وكان يشتهي أن يملأ بطنَهُ من الخرنوبِ الذي كانت الخنازيرُ تأكلُهُ فلم يُعطِهِ أحدٌ* فرجعَ إلى نفسِه وقال كم لأبي من أُجَراء يَفضُلُ عنهم الخبزُ وأنا أهلِكُ جوعاً* أقومُ وأمضي إلى أبي وأقولُ له يا أبتِ قد أخطأتُ إلى السماءِ وأمامك. ولستُ مستحقًّا بعدُ أن أُدعى لك ابناً فاجعَلني كأحَدِ أُجرائِك* فقام وجاء إلى أبيه. وفيما هو بعدُ غيرُ من أزمتهم، وهنا يبدأ الضياع من جديد. الإبن الشاطر وعى ان طريق الخلاص هي بالعودة عن كل ما كان يقوم به وبالتالي الرجوع إلى مَن كان مصدر حياته. قرّر أن يقلب مسلك حياته كلياً لا أن يعدّله. قال الإبن الشاطر: «أقوم وأمضي إلى أبي وأقول له يا أبتِ قد أخطأتُ إلى السماءِ وأمامك».

ثالثاً، بعد أخذ القرار تأتي مرحلة تطبيق القرار، وهذه أيضاً مرحلة صعبة. كثيراً ما نأخذ قرارات نريد فيها أن نصلح نفوسنا، ولكن حين يأتي التنفيذ نستصعب الأمر، أو قد يضع الشيطان أمامنا العوائق والأفكار لثنينا عن تنفيذ قرارنا. أبسط هذه العوائق أن يضع فينا الشك بقبول الآب السماوي لنا، أو أن ينمّي فينا روح التكبّر والعنفوان فلا نعود نريد العودة لأن اعتدادنا بذاتنا لا يسمح لنا بذلك. الإبن الشاطر قرر بتواضع وانسحاق العودة إلى ابيه ولم يشكّ لحظة بقبول والده له، لأنه يعرف في عمقه مَن يحبه ومَن لا يحبه. الخبرة علّمته ان مَن كانوا يدّعون محبته، أي أصدقاءه، كانوا يحبونه لماله، ولما انتهى المال صار لوحده.

مَثَل الإبن الشاطر يعلّمنا بوضوح انه متى أخذنا قرارنا وبدأنا تنفيذه لا نخاف، لأن الله ينتظر عودتنا وهو سوف يهرع نحونا ليستقبلنا كما فعل مع الإبن الشاطر. يقول النص: «فيما هو بعدُ غيرُ بعيدٍ رآه أبوه فتحنَّن عليه وأسرع وألقى بنفسه على عنقه وقبَّله». الأب أسرع نحو الإبن وليس العكس. المهم أن نقوم بالخطوة الأولى والله سوف يسرع تجاهنا ويقوم بخطوات أكثر.

رابعاً، تبقى الخطوة الأخيرة التي تتطلّب شجاعة وتواضعاً هائلين، وهي الإعتراف العلني بالخطأ. هذا ما فعله الإبن الشاطر وقال: «يا أبتِ قد أخطأتُ إلى السماءِ وأمامك ولستُ مستحقًّا بعدُ أن أُدعى لك ابناً». عندها ألبسه أبوه «الحلّة الأولى» (حلّة البراءة التي كانت لآدم في الفردوس قبل الخطيئة) وجعل خاتماً في يده (علامة العهد الجديد) وحذاء في رجليه (ليسير في درب الآب) وذبح له العجل المسمَّن الذي كان يربّيه بانتظار عودته. بالتوبة والإعتراف عاد من جديد ابناً للآب وكأن شيئاً لم يكن.

نقطة أخيرة لا بد من الإشارة إليها في إنجيل اليوم، تتعلّق بنا نحن الذين نقول اننا ابناء الكنيسة ونصلّي ونصوم ونتناول القدسات ونعتبر أنفسنا أفضل من غيرنا. الإبن الأكبر، الذي يشبهنا في هذا الوضع، لم يقبل عودة أخيه فكان محتكرًا لرحمة أبيه، وهذه خطيئة أعظم من كل الخطايا: عدم الرحمة. ألم يقل لنا الرب «إني أريد رحمة لا ذبيحة» (متى ٩: ١٣)، و«كونوا رحماء كما أن أباكم أيضاً رحيم» (لو ٦: ٣٦). معظمنا لا يعي النعمة التي هو فيها: «أنت معي في كل حين وكل ما هو لي فهو لك». يكفي كل واحد منا انه في نعمة الرب، فلا ندخل في خطيئة الأنانية. نريد كل شيء لنا وحدنا. الأنانية هي التي أسقطت آدم من الفردوس قديماً إذ أراد أن يكون كل شيء له وحده وبعيداً عن الله، بل وأراد أن يكون مكان الله. نعمة الله وافرة وتكفي لنا ولكل الناس. فلا ندع الطمع والأنانية يتحكمان بنا، ولنرحم مَن في الأرض لكي يرحمنا مَن في السماء.

بعيدٍ رآهُ أبوهُ فتحنَّن عليهِ وأسرع وألقى بنفسِه على عنقه وقبَّله* فقال له الإبنُ يا أبتِ قد أخطأت إلى السماءِ وأمامك ولست مستحقًّا بعدُ أن أُدعى لك ابناً* فقال الأبُ لعبيده هاتوا الحُلَّة الأولى وألبسوهُ واجعلوا خاتماً في يدهِ وحِذاءً في رجليه* وأتوا بالعِجْلِ المسمَّنِ واذبحوه فنأكلُ ونفرَح* لأنَّ ابنيَ هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوُجد. فطفِقوا يفرَحون* وكان ابنُه الأكبرُ في الحقلِ. فلمَّا أتى وقرُبَ من البيتِ سمعَ أصواتَ الغِناء والرقص* فدعا أحد الغِلمانِ وسأله ما هذا* فقال له قد قدِمَ أخوك فذبحَ أبوك العجلَ المسمَّن لأنَّه لقيَه سالماً* فغضبَ ولم يُرد أن يدخل. فخرج أبوه وطفِقَ يتوسَّلُ إليه* فأجاب وقال لأبيه كم لي من السنين أخدِمُك ولم أتعدَّ لك وصيَّةً قطُّ وأنت لم تُعطِني قطُّ جَدْياً لأفرحَ مع أصدقائي* ولمَّا جاء ابنُك هذا الذي أكلَ معيشتَك مع الزواني ذبحتَ له العجلَ المسمَّن* فقال له يا ابني أنت معي في كل حينٍ وكلُّ ما هو لي فهو لك* ولكن كان ينبغي أن نفرَحَ ونُسرَّ لأنَّ أخاك هذا كان ميّتاً فعاش وكان ضالاً فوُجد.

الصلاة من أجل الراقدين

«من آمن بي ولو مات فسيحيا وكل مَن كان حيًّا وآمن بي فلن يموت» (يو ١١: ٢٥-٢٦). جسم الكنيسة هو شركة أحياء وراقدين في المسيح يسوع. وهذه العلاقة في المسيح هي التي توحّد أبناء الكنيسة في جسد واحد. هي ثمرة الإيمان الحيّ والمحيي الذي لأعضاء الجسد. هي علاقة لا يسود فيها الموت. وصلاة الكنيسة لأعضاء الجسد الذين رقدوا هي أحد أقصى تعابير الإيمان والرجاء والمحبّة. هي تعبير عن الرباط غير المنقطع لأعضاء الجسد، وعن نوعيّة جديدة من الحياة، وعن لون جديد من العلاقات لا سلطة للموت عليها.

يشير القديس ديونيسيوس الآريوباغي إلى الصلاة من أجل الراقدين، ويسمّيها: «سر الراقدين ببرّ»، موضحاً أن ذِكر الله بالنسبة إلى الكنيسة، لا ينفصلُ عن ذكر الإخوة على رجاء القيامة. والقديس يذكر أيضاً أنّه خلال إقامة هذا السرّ يخرج الموعوظون من الكنيسة، فهو سر من أسرار الشركة الكنسية بامتياز.

بعض الفئات والجماعات المسيحية تعتبر أنّ فائدة الذِكرانيّات تعود إلى الأحياء وحدهم دون الأموات، كتعزية بشرية. ولكنّ هذا الرأي مُخالِف للتقليد الأرثوذكسي. فإنّ ذكر الأموات والطلبة من أجل غفران خطاياهم طالما كان أساسُهما الشركة غير المنقطعة بين الأحياء والأموات، والتي تؤدّي إلى كمال وراحة أعضاء الجسد الذين فارقوا أجسادهم المادية. لذلك تؤكّد الكنيسة الأرثوذكسية أنّ منفعة الصلاة من أجل الراقدين تطال حتماً مَن سبقونا إلى أرض الأحياء. وهذا واردٌ بوضوح في سفر المكابيين الثاني (٢ مكابيين ١٢: ٤٤-٤٥) حيث قدّم يهوذا المكابي ذبيحة من أجل التكفير عن خطايا جنود قُتلوا. «... وكان ذلك من أحسن الصنيع وأتقاه لاعتقاده بقيامة الموتى. لأنه لو لم يكن مترجّياً قيامة الذين سقطوا لكانت صلاته من أجل الموتى باطلاً وعبثاً. ولاعتباره أنّ الذين رقدوا بالتقوى قد ادُخِر لهم ثوابٌ جميل. وهو رأي مقدَّس تقي، ولهذا قدّم الكفّارة عن الموتى ليُحَلّوا من الخطيئة».

الكنيسة، من حيث هي أمّ ساهرة، ترفع الصلاة يومياً لأجل سائر أبنائها الذين انتقلوا إلى الحياة الأخرى. ففي صلاة نصف الليل نذكر الراقدين في العديد من الطروباريات والتضرّعات، وخاصة في طلبة الختام التي ترِدُ أيضاً في آخر صلاة النوم. كذلك في خدمتي صلاة السَحَر والغروب حيث تُخصّص طلبة كبرى لهم. وهم يُذكَرون أربع مرات خلال خدمة القداس الإلهي: في الذبيحة، وفي الطلبة التي تلي الإنجيل، وفي الدخول الكبير، وبعد تقديس القرابين اثناء ترتيل «بواجب الإستئهال...». كذلك تخصّص الكنيسة يوم السبت من كل أسبوع لتذكّر الراقدين. وقد درجت العادة الشريفة منذ بدء تاريخ المسيحية أن يُصلّى بإلحاح طيلة أربعين يوماً من بعد وفاة أحد أبناء الكنيسة، وأن يُعتبر اليوم الأربعون بمثابة تعييد احتفالي لتذكار انتقال أخٍ أو أختٍ لنا على رجاء العزاء والنور.

ولكن ما هي غاية صلاتنا من أجل الراقدين؟ الجواب هو أن هذه

تأمل

يا ليتكم تقدرون أن تفهموا ألمي، لو تقدرون أن تروا النار التي تحرق قلبي، كنتم ستتأكّدون من معاناتي أكثر من العروس التي تفقد زوجها، ومن الأب الذي يفقد ابنه. أعاني لأنّني لا أراكم تتقدّمون روحيًّا، أعاني لأنّ حياتكم مليئة كذباً ووشايات، نزاعات وكراهية، ظلماً وسرقات، بغاءً وشهوات، أعمالاً مشينة وقتلاً، أعاني لأنّ كلّ مَن لا يقترف مثل هذه الخطايا منكم يقع يوميًّا في الاتّهام وسوء الكلام. يعتقدون أنّهم مسيحيون، لكنهم لا يهتمون بأن يكونوا مرضيين لدى المسيح ولا ينتبهون لأنفسهم ولا ينصرفون لشفاء أنفسهم. ينشغلون بالآخرين، يدينونهم، ويحاكمونهم كقضاة قساة. يقولون: «فلان غير مستحق لرتبة الكهنوت، وفلان فاحش، هذا مرائي، وذاك متشرّد والآخر يسعى وراء مصلحته»، إنّنا بدلاً من أن نحزن ونتوب عن خطايانا، ندين إخوتنا البشر. حتى وإن كنا لا نخطئ، وكانت لدينا مواهب العالم كله، وكنّا أرفع شأناً من الناس جميعاً، لا يحق لنا أن ندين أحداً.

القديس يوحنا الذهبي الفم

الصلاة هي إكمال للمحبة في المسيح. فإننا كما نحب إخوتنا الأحياء ونكرّمهم، كذلك نعبّر عن محبّتنا وإكرامنا لأحبّتنا الذين رحلوا، وذلك من خلال وسيلة فعّالة هي الصلاة. نطلب إلى الله أن يغفر خطاياهم ويظلّلهم بنعمته الغنية و«يمتّعهم بنور وجهه». والحق يقال إنه ما من إنسان لا يحتاج إلى صلاة الكنيسة ومعونتها ساعة موته، لما نقترفه من ذنوب وزلّات في حياتنا تقف عائقاً أمام تقدّمنا من بعد الممات في مسيرة النمو الروحي والمعرفة الإلهية.

فالموت مسيرةٌ وسيرورةٌ نحو المجد الإلهي، بل هو استمرار حقيقي لمسار التوبة الذي يتّخذه الإنسان المسيحي زمن حياته. ومسيرة الحياة بالمسيح، سواء قبل الموت أم بعده، لا تستقيم ولا تستمر إن لم تكن محمولةً من الجسم الكنسي الأوسع، أي تعبيراً عن شركة الحياة الأبدية المعطاة لتلاميذ الرب يوم العنصرة.

فإن الروح القدس هو الذي يجمع أوصال جسد السيّد ويوحّدها في شركته التي تكسر قيود الموت وتتخطّاها. ونحن نصلّي بإيمان لكلّ إخوتنا بالمسيح عالمين أنّ ربنا، «إله إبرهيم وإسحق ويعقوب»، «ليس إله أموات بل إله أحياء» (مر ١٢: ٢٧)، وأننا نحن أيضاً، «قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الإخوة» (١ يوحنا ٣: ١٤).

سبت الأموات

في السبت الذي يسبق أحد مرفع اللحم رتبت الكنيسة المقدسة أن تُقام ذكرى للأموات الراقدين على رجاء القيامة. لذلك تُقام القداديس الإلهية في كافة كنائس الأبرشية صباح السبت ١٨ شباط ٢٠١٢

من أقوال الآباء

جاء بعض الإخوة إلى الأب بمفو وسأله أحدهم قائلاً: «يا أبتِ، إني أصوم فآكل كل يومين مرّة وآكل خبزتين. ترى هل أنا أهلك نفسي أم أخلّصها؟ وقال له آخر: يا أبت، أنا أنفق من عمل يدي قيراطين في اليوم وأحتفظ بالقليل للطعام، والباقي أتصدق به. تُرى هل أهلك أم أخلص؟ وبالرغم من توسلهما إليه، لم يجبهما بكلمة. بعد أربعة أيام، كان يجب أن يرحلا، فكان الكهنة يعزّونهما قائلين: لا تحزنا أيها الأَخَوان لأن الله سيعطيكما أجراً. هكذا كانت عادة الشيخ أن لا يتكلّم بسهولة حتى ولو كشف الله له الأمر. فدخلا على الشيخ وقالا له: يا أبانا، صلِّ من أجلنا. فقال لهما: هل ستذهبان؟ قالا: نعم. فأخذ على عاتقه أعمالهما، وكتب على الأرض: إن بمفو يأكل مرّة كل يومين ويأكل خبزتين، تُرى هل يصير بهذا راهباً؟ لا. ثم إن بمفو يعمل بقيراطين، ويتصدق بها. ترى هل يصير بهذا راهباً؟ بالطبع لا. فقال لهما: حسنة هي الأعمال، لكن إذا حفظتما ضميركما نقياً تجاه القريب، تخلصان. فذهبا فرحين، لأنهما اكتفيا بما قيل.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb